رحلة البازوري

رحلة الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين الصغيي العاملي البازوري

الصغيري : ربما نسبة لآل علي الصغير

البازوري : نسبة لقرية البازورية في جنوب لبنان

العاملي : نسبة لجبل عامل

رحلة البازوري

ذكرها الشّيخ الحر ولم يرها ، حيث قال في ج1 ص 25 من كتابه أمل الآمل:

له رسالة سماها رحلة المسافر وغنيته عن المسامر، أخبرني بها جماعة منهم السيد محمد بن محمد الحسيني العاملي العينائي عنه . انتهى

هي رحلة الشيخ إبراهيم العاملي البازوري تلميذ الشيخ محمد بن حسن بن الشّهيد الثاني ومعاصر الشّيخ البهائي العاملي.

وجدها الشيخ محمد تقي الفقيه (الحفيد) ابن الشيخ جواد الفقيه ضمن مجموعة مخطوطة لم يلتفت إليها المفهرس لاندماجها في تلك المجموعة.

وقد قام بتحقيقها قبل سبعة أعوام (2011م) وقد طبعت مؤخّراً في مجلة كتاب الشّيعة التابعة لمؤسسة تراث الشيعة الموجودة في مدينة قم المقدسة.

والشيخ الفقيه الحفيد هو مؤسس ومشرف على مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث – حاريص – جنوب لبنان

ترجمة البازوري في الموسوعة العالمية ويكيبيديا

تحقيق: محمدتقي الفقيه العاملي
مراجعة: السيد عبدالستار الحسني

رحلة المسافر وغنيمة عن السافر للشيخ إبراهيم الصغيري البازوري العاملي (ح ١٠٧٣)

سال سوم، شماره دوم، پاییز و زمستان ۱۳۹۱

چکیده:
این گفتار، گزارشی است اخلاقی از یک سیر انفسی نویسنده ابراهیم بن ابراهیم عاملی بازوری (سده یازدهم). وی آن را در قالب یک سفر نامه به شیوهٔ مقامه نویسی به نثر مسجّع عربی نوشته است که در خلال آن اندرزهای اخلاقی را در قالب آیات و روایات و اشعار عربی می آورد.

کلید واژه‌ها: عاملی بازوری، ابراهیم بن ابراهیم؛ اندرزهای اخلاقی؛ نثر مسجّع؛ ادبیات عربی قرن یازدهم.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّد الثقلين محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ مسيرة الحياة الإنسانية ستظلّ في صعود مستمرٍ وتطور دائم بفضل المعطيات العلمية والثقافية التي يتمتع بها الإنسان، هذا الكائن البشري الذي زوده الله سبحانه بنعمة العقل، وأعطاه قوة التفكير التي بها استطاع أن يجسّدها على سطح هذا الكوكب، حضارة تمتد إلى عمق التاريخ حاملة معها عجيب الصنع، وهي لن تتوقف ما دام الرافد موجوداً، حتى يحكم الله بما وعد بقوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾[٢].

وكانت الكلمة هي المبتدأ في إظهار تلك الطاقات الموهوبة ومن ثمّ رسمها والاحتفاظ بها في مطاوي الكتب لتظل تراثاً نابضاً بالحياة، ومن هنا كتب البقاء لبعض المفكرين رغم مرور مئات السنين على رحيلهم عن هذه الدنيا.

ولم يقتصر ذلك على المعطيات الحضارية المادّية كما يتصور البعض، لأنها قد تفنى بعوامل الطبيعة. أما الكلمة، فتظل باقية إما موروثة أو مرقومة.

---

١. الأنبياء (٢١): ١٠٤.

٢. إبراهيم (١٤): ٤٨.

من هنا كان للأدب حضارته الخاصّة لدى الأمم والشعوب يتوارثونه ويورّثونه.

وكان للأمة النصيب الأكبر من ذلك، والقرآن الكريم خير دليلٍ على ما نقول.

وربَّ شاعر خلّدته قصيدةٌ، وربَّ عالم خلّدته نظريّة.

يحدّثنا التاريخ عن القصيدة المسماة باليتيمة حيث لم يُعرف حتى ناظمها:

إن تُتهمي فتهامةٌ وطني أو تُنجدي إنّ الهوى نجد

لكن رقّة هذه الكلمات وعذوبة ألفاظها ودقّة معانيها تترك السامع يسيح في عالم الأدب والشعر متمثّلا ذلك الشاعر نصب عينيه عملاقاً مرهف الحس بعيد الغور.

هكذا البازوري، معلوم الإسم والمنشأ والبلد، الذي لم نجد من تراثه سوى هذه الرحلة التي بين يديك والتي هي أشبه ما تكون بمقامة أدبية رائعة متنوّعة الأبعاد.

في هذه المقامة الأدبيّة تجري محاورةٌ بل مناظرة بين المؤلّف العازم على الرحيل عن وطنه، وبين فتاة تحاول جهدها وبشتّى الوسائل أن تثنيه عن الرحيل، فتحثّه على البقاء في الوطن ولكنّه ينتصر عليها في نهاية المطاف.

والفتاة كناية عن نفس المصنّف إذ أنّ المحاورة في الواقع هي بين البازوري ونفسه التي تحدّثه بالبقاء في الوطن بين الأهل والخلان وعقله يحثّه على الرحيل طلباً للعلم.

ترجمة المصنف

هو إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين الصّغيري العاملي البازوري[٣] (ح ١٠٧٣).

ذكره الشيخ الحر في الأمل فقال:

---

٢. أمل الآمل، ج ١، ص ٢٥؛ رياض العلماء، ج ١، ص ٦؛ محافل المؤمنين، ص ٣٣٠؛ كشكول البحراني، ج ١، ص ٢٨٢ - ٢٨٤؛ رياض الجنّة، ج ١، ص ٦٧؛ أعيان الشيعة، ج ٢، ص ١٠٦؛ خطط جبل عامل، ص ٢١٠؛ طبقات أعلام الشيعة، ج ٥، ص ٣؛ الذريعة، ج ٩، ص ١٤ وج ١٠، ص ١٧٠؛ لؤلؤة البحرين ضمن ترجمة الشيخ البهائي، ص ٢٢؛ معجم المؤلفين (كحّالة) ج ١، ص ٢؛ السوانح المرضية والنوافح العطرية، الورقة ٨٣ و ١١٨ (مخطوط).

كان فاضلاً صدوقاً صالحاً شاعراً أديباً من المعاصرين، قرأ على الشيخ بهاء الدين وعلى الشيخ محمّد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني وغيرهما. توفي بطوس في زماننا ولم أره، وله ديوان شعر صغير عندي بخطه من جملة ما اشتريته من كتبه، وله رسالة سمّاها رحلة المسافر وغنيته عن المسامر، أخبرني بها جماعة منهم السيد محمّد بن محمّد الحسيني العاملي العيناثي عنه[٤].

وقد أتبع الشيخ الحرّ هذه الترجمة بثلاث قصائد للمترجم له، الأولى في رثاء الشيخ البهائي ١٠٣٠ والثانية في مدح الشيخ زين الدين بن محمد بن حسن العاملي ١٠٦٤ والثالثة في مدح السيد حسين بن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي العاملي ١٠٦٤.

أقول: ولد البازوري في بلدة جُبَع كما ذكره في نهاية اثنا عشرية الصوم للشيخ البهائي والتي انتهى من كتابتها سنة ١٠٣٠ كما سيأتي.

ويظهر من مقامته الأدبية التي هي موضوع تحقيقنا أنه قضى أيام دراسته في بلدة جباع في جبل عامل وكان قدوته فيها آنذاك الشيخ محمد بن حسن بن الشهيد الثاني.

آثاره

عثرنا حتى الآن على نسخة من الاثنا عشريات الخمس للشيخ البهائي كتبها البازوري بخطه وخطه في غاية الحُسن. والنسخة محفوظة في الخزانة الرضوية تحت الرقم (١٣٨٤٩).

وقد فرغ من اثنا عشرية الصوم نهار الخميس ١٢ رجب من سنة ١٠٣٠ للهجرة. وكانت كتابتها في الروضة الرضوية على مشرفها الصلاة والسلام.

وذكر في نهاية كلّ منهما أنّه جباعي المولد، بازوري المحتد.

وأمّا الرّحلة التي ذكرها الشيخ الحر نقلاً عن السيد ابن قاسم العيناثي فقد عثرنا عليها بين أوراق إحدى المجموعات وهي عبارة عن ثلاثين صفحة كتبها بخطّه. ولم يذكر اسمها ولكنّه صرّح في مقدّمتها باسم نفسه، وهي أقرب إلى المقامة الأدبية منها إلى الرّحلة. وموضوعها هو محاورة بينه وبين فتاة جميلة تحرّضه على ترك السفر، فيردّ عليها مفضّلاً السفر في سبيل طلب العلم على ما تدّعيه.

ويظهر من خلال هذه الرحلة أنّه غادر جبع بعد ترك أستاذه الشيخ محمّد بن حسن بن زين الدين للبلدة، وعاد إلى بلدته التي لم يسمّها والأرجح أنّها البازورية، وأقام بها مدّة عامين، ثمّ عزم على السفر.

ثمّ التحق في نهاية المطاف بأستاذه الشيخ محمد بن حسن بن زين الدين في العراق، وبعد ذلك سمع بالأهوال والحروب التي ألمّت ببلاده وأهله الذين ذهبوا أيادي سبأ حسب تعبيره.

الولادة والوفاة

لا نملك تفاصيل واضحة عن تاريخ ولادته أو وفاته، غير أنه كان حيّاً بعد وفاة الشيخ البهائي ﵀ أي بعد عام ١٠٣٠ الهجري، لأنّه رثاه بقصيدة ذكرها الشيخ الحر في الأمل.

٤. أمل الآمل، ج١، ص٢٥.

أضف إلى ذلك قول الشيخ الحر: توفي بطوس في زماننا ولم أره، فإنّه يوحي بوفاته بعد مجيء الشيخ الحر إلى إيران، أي بعد عام ١٠٧٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل الكَونَ فسيحَ الطولِ والعرض، وقال عزّ مِن قائلٍ: ﴿فسيحوا في الأرض﴾[5]، وامتثل أمرَه أصحابُ الهمم العالية بالسعي على تحصيل درر المعالي الغالية، ولو نال أحدٌ بالقعود فخراً لما قال سبحانه: ﴿فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا﴾[6].

شعر:

إنّ العُلا حَدّثتني وهي صادقةٌ
فيما تُحدّثُ أنّ العزَّ في النقلِ
لو كان في شرفِ المأوى بلوغُ عُلى
لم تَبرح الشمسُ يوماً دارةَ الحملِ[7]

ألم تسمع أيُّها الخدين وخالص خلّان اليقين كلام رب العالمين: ﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين﴾[8].

فشَمّر ويحك عن ساق الجِدّ والاجتهاد، علّك أن تحظى من العلم بنيل المراد: إذ به تنجو يوم لا ينفع مال ولا ولد،[9]

٥. سورة التوبة (٩)، الآية ٢.
٦. سورة النساء (٤)، الآية ٩٥.
٧. البيتان للطغرائي، أنظر معجم الأُدباء، ج ٣، ص ١١١١.
٨. سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٢.
٩. اقتباس من قوله تعالى: (يوم لا ينفع مال ولا بنون)، وإنّما استبدل بقوله: (ولا بنون) عبارة (ولا ولد) لمراعاة السجع. (السيّد الحسني)

ولا شكّ ولا شبهة أنّ «من جدّ وجَد»[10].

وصلاةً وسلاماً[11] على من بهر العقول بالآيات البيّنات والحِكَم، القائل: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[12] و«إنّي أُباهي بكم الأُمم»[13]، وعلى آله معادنِ العلمِ والحلمِ والتبيان، الممدوحين بـ: ﴿هل أتى على الإنسان﴾[14]، ما أقام ثَبير،[15] ورحل عن مكانه كوكب منير.

وبعد، فيقول الفقير إلى الله الغنيّ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين البازوري[16] العاملي:

بينا نحن في جُبع[17]، نَهصِر[18][19] تضاريس العيش في الأيّام والجُمع، ونَختلِسُ وِصالَ الأحباب،[20] ونقتبسُ نورَ العلمِ من أولي الألباب.

سال سوم شماره دوم
پاییز و زمستان ١٣٩١

١٠. من مأثور الحكم القديمة.
١١. وصلاة وسلاماً: نصبها على المفعولية المطلقة، ولا يقال: صلى تصلية بل صلى صلاة. وإن كان مصدر فَعّلَ هو التفعيل. وأمّا قوله: (وسلاماً) فهو اسم مصدر. (السيّد الحسني)
١٢. روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ج ١، ص ١١.
١٣. الكافي، ج ٥، ص ٣٣٥، باب كراهية تزويج العاقر، الحديث ٢. والحديث: «إنّي أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة حتّى بالسقط».
١٤. سورة الإنسان (٧٦)، الآية ١.
١٥. ثبير: اسم جبل عالٍ في جزيرة العرب. (السيد الحسني)
١٦. نسبة إلى بلدة البازورية، قال السيد الأمين في الخطط: قرية في ساحل صور، وإليها ينسب الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري، من علماء أمل الآمل. خطط جبل عامل، ص ٢١٠.
١٧. جُبع بالجيم المضمومة والباء الموحّدة المفتوحة والعين المهملة، ويقال: جُباع بالمدّ، وتعرف بجبع الحلاوة، تمييزاً لها عن جبع الشوف في جبل لبنان، وجبع بنيامين في فلسطين. خطط جبل عامل: ٢٢٢.
١٨. الهصر: الكسر. الصحاح، ج ٢، ص ٨٥٥.
١٩. هصر، من قولهم: هصر الغصن، إذا أخذ برأسه وأماله عليه. وقد يتعدّى بالباء وهو المناسب للسياق هنا، لا الكسر. (السيد الحسني)
٢٠. بين (أقام) و(رحل) طباق الإيجاب. (السيد الحسني)

شعر:

بلادٌ بها حَلَّ الشبابِ تميمتي
وأوّلُ أرضٍ مسّ جلدي ترابُها[21]

وكانت البلدةُ مَحطّة الرّحال، ومناخ الآمال، تؤمّها ظِماء الطالبين من كلّ فجّ عميقٍ، ويرتوون فيها بكأس من رحيقِ التحقيق، إذ أشار الدّهر إلينا بالبنان، فأصابتنا عينُ الزّمان، فلم نلبث إلا كريثما انقضّ كوكب فانفضّ موكب، حتّى درست مدارسُ العلم ومعاهدُه، وتعطّلت بيادِرُهُ ومواردُه، وحاكت على كتبه في زوايا الهِجران عناكبُ الخمول، وأخذت شمسُ أصيلهِ بالأفول، وعفت من رسومه آثار دمنتها[22]؛ إذ غاب صاحب نجدتِها، أعني بحرَ العلمِ الخِضَمّ، وبدرَ أفُقِ المعالي الأتمّ، الذي بَنَت له الفضائلُ مقاماً فوق هامِ السَّماك،[23و24] وألقت إليه أزمّتها قائلةً: ليس لنا سواك، أنموذج العلماء الراسخين، شيخنا ومولانا الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين[25].

شعر:

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم
دُجَى الليلِ حتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُه

نجومُ سماءٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ
بَدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُه[26]

فأظلَمت لبعدِهِ تلك الآفاق، وأشرقت بأنوارِ علومهِ العراق، واختفى ما كان ظاهراً مشهوراً، وأصبح العلم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، فطارت الطّلبة أدراج الرياح، وسالت بأعناق مطايا تلك الأحاديثُ البطاح.[27]

شعر:

كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيسٌ، ولم يسمر بمكّة سامرٌ[28]

فانفصمت من حبل مناي العُرى،[29] وانقصم من الأسف على ما سلف منّي القرى، فرجعت إلى منازل قومي ببعض





---

٢١. أنشد أحمد بن يحيى: [من الطويل]

أحبّ بلاد الله ما بين منعج … إليّ وسلمى أن يصوب ربابها

بلاد بها حلّ الشباب تميمتي … وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها

راجع: التذكرة الحمدونية، ج ٩، ص ٢٠٢.

٢٢. الدمنة آثار الناس وما سوّدوا، والجمع الدمن. الصحاح ٥، ص ٢١١٢.

٢٣. هام: جمع الهامة، وهامة الرأس: أعلاه.

٢٤. والسماك، بكسر السين المهملة: نجم نيّر، وهما سماكان يقال لأحدهما: الرامح وللآخر: الأعزل، ومن لزوميات أبي العلاء المعري:

لا تطلبن بآلةٍ لك رتبةً … قلم الأديب بغير خطٍ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما … هذا له رمح وهذا أعزل

هكذا أحفظهما. (السيد الحسني)

٢٥. كان عالماً، فاضلاً، محققاً، مدققاً، متبحراً، جامعاً، كاملاً، صالحاً، ورعاً، ثقةً، فقيهاً، محدثاً، متكلماً، حافظاً، شاعراً، أديباً، منشئاً، جليل القدر، عظيم الشأن، حسن التقرير، قرأ على أبيه وعلى السيد محمد بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي، وعلى الميرزا أحمد بن علي الإسترابادي، وغيرهم من علماء عصره. أمل الآمل، ج ١، ص ١٣٨.

٢٦. البيتان لأبي الطمحان القيني، راجع نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٨٣.

٢٧. أخذه من قول الشاعر:

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بَيْنَنا … وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

(السيد الحسني)

٢٨. البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي. راجع نهاية الإرب في فنون الأدب، ج ١٦، ص ٢٤.

٢٩. العرى: جمع العروة. (السيد الحسني)

القُرى[30]. التي من شعار أهلها في سنيّ القحط القِرى.[31،32]

شعرٌ:

وما أُخمِدت نارٌ لهم دون طارقٍ
ولا ذمّهم في النّازلين نزيلُ

وأسيافُهم مشهورةٌ في عدوّهم
بها من قِراعِ الدّارعينَ فُلولُ[33]

يطوى حاتِم الطائي عند نَشرهم، ويعدّ معن بن زائدة كمادرٍ[34] إن قِيس بجودهم وبِشرِهم.

شعرٌ:

إن تُرِد خُبرَ حالِهم عن يقين
فَاتِهِم يومَ نائلٍ أو نِزال

تلقَ بيضَ الوُجوهِ سودَ مثارِ النـ
ـنقع خُضر الأكنافِ حُمر النِّصالِ[35]

قتلوا لئيمَ البُخلِ بأسِنّةِ رماحهم، وأحيوا كريمَ المكارمِ بسُنّة سماحِهم، سَنّوا الكرم في الناس وفرضوه، وشنّوا الغارة على أموالهم، وما سمعوا بممسكٍ فرضوه، وَوَقّعوا بأقلامِ قواضبَ قواضٍ بالعدلِ لنصرةِ الحقّ منشوراً، وتولّعوا برُقياتِ الهِباتِ لإعادةِ رميمِ الفضائلِ والكمالاتِ منشوراً.

شعرٌ:

أقامت في الرقابِ لهم أيادٍ
هي الأطواقُ والنّاسُ الحَمامُ[36]

استرقّوا رقابَ الأنامِ بما أولَوها من العطايا، وإذا اقتسمت غنائمَ الفضلِ فلهم منها المرباعُ والصفايا[37]، ملكت في القِدمِ أصولُهم بالصّوارمِ أعنّةَ المعالي، ورفعت في الحادث فروعُهم خيامَ خيمِهم بأطرافِ العوالي، وجرّوا على تاجِ المجرّة الذُّيول، وساغ لقائلِهم أن يقول:

إنّ أسيافَنا القِصارَ الدّوامي
صَيّرت مُلكنا طويلَ الدّوامِ

لم نَزل نحن في سِدادِ ثغورٍ
واصطلامِ الأبطالِ من وَسطِ لامِ

واقتحامِ الأهوالِ من وقتِ حامٍ
واقتسامِ الأموال من وقتِ سامِ[38]

سيوفُهم فتحٌ لأوليائهم ولها حامية، وحتفٌ لأعدائهم وعليها نارٌ حامية، إن ركَعت في الوغى سجدت رؤوسُ العِدى، وإن اشتبكت قَناهُم أجّجَت ناراً يجدُ من ضَلّ عليها هُدى.

ومن عجبٍ أنّ الصوارمَ والقَنا
تحيض بأيدِي القومِ وهي ذُكورُ

وأعجبُ من ذا أنّها بأكفِّهم
تُأجّجُ ناراً والأكُفُّ بُحورُ[39]

---

٣٠. الظاهر أنه يقصد بلدته (البازورية).

٣١. القرى هنا: إكرام الضيف. (السيد الحسني)

٣٢. كذا، والصواب: القرا، وهو الظهر. (السيد الحسني)

٣٣. البيتان للسموأل. راجع ديوان عروة بن الورد والسموأل، ص ٩١.

٣٤. يقال في المثل: «أبخل من مادر». راجع كتاب الأمثال، ص ٥.

٣٥. البيتان لابن حيّوس. راجع نهاية الإرب في فنون الأدب، ج ٢، ص ٢٢٣.

٣٦. البيت لأبي الطيب المتنبي. راجع ديوان المتنبي، ص ١٠٩.

٣٧. من قول الشاعر وأظنه الفرزدق: (لنا المرباع منها والصفايا). يعني: ما يأخذه الملك من غنائم الحرب. (السيد الحسني)

٣٨. الأبيات لأبي الحسن أحمد بن المؤمل. مع اختلاف في البيت الأول. راجع: يتيمة الدهر، ج ٤، ص ١٦٨.

٣٩. البيتان للقاضي الجليس. راجع: فوات الوفيات، ج ١، ص ٦٦٩.

لا زالوا عاكفينَ تحت سُرادق الكَرم، واقِفينَ في رواقٍ من حُسنِ الشمائل والشِّيم، تَخفُقُ عليهم أعلامُ النصر، وتُنشر أمامهم ألوية الفخر.

شعرٌ:

أُولٰئكَ آبائي فجِئني بِمِثلِهم
إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ[٤٠]

فلما انتظمتُ في سِلك جَمعهم، وبذلوا في إكرامي غايةَ جُهدهم ووُسعهم، وأضحَت هِمَمُهم نحوَ إكرامي موفورة، وامرتُهم عند قولي مَأمورة، وسُرِرتُ بالأهلِ والوطن، وقرأتُ الحمدُ لله الذي أذهب عنّا الحَزَن.

شعرٌ:

وأرى الدَّهرَ مُحسِناً بعد ما أسا
قد أضا ليلَه فكاد صُبحه يُشبِه المسا[٤١]

حيثُ الوقتُ مُعينٌ وماءُ الشَّبيبةِ مَعين، ونشرُ البِشرِ فايح، ونورُ الهَنا لايح، والحبيبُ مجيبٌ، والرقيبُ غير قريب، وطرفُ صرفِ الزّمانِ غافل، وكوكب أماني الآمال بازِغٌ ليس آفِل،[٤٢] وغصن الصّبا رطيب، ومَطرفُ اللهوِ قشيب،[٤٣] لا نملُّ في العيش الرّغيد من مغازلة الغزلان، ومعاشرة الغيد، والدهر غضيض الطرف، وسعاد السعد

---

٤٠. البيت للفرزدق. راجع: ديوان الفرزدق، ص ٣٦٠.

٤١. البيت لصفي الدين الحلي، مع اختلاف ظاهر، حيث قال:

قُم فإنّي أرى الزّمان مُحسِناً بعدَما أسا
قَد أضا لَيلُهُ وكان صُبحُهُ يُشبِهُ المَسا

راجع: ديوان صفي الدين الحلي، ص ١٣٢.

٤٢. حقه النَّصبُ، لكنّه سَكَّنَهُ مراعاة للسجع. (السيد الحسني)

٤٣. فيه تورية لطيفة. (السيد الحسني)

ممنوعة الصرف.

شعرٌ:

إذ كان زماني كما أُحب مُواتٍ
والعيش رَخيٌّ وروض أُنسي فَينَان[٤٤]

أزمَان شبابي من النَّضارة غَضٌّ
ما شِبنَ عِذاري من المشيب بريعان

والدهرُ غلامي وسَيفُ حُكمي ماضٍ
إن رامَ خلافي قضى عليه بسلطان

كم شِمتُ بدوراً من البراقع تُجلى
ما ارتَعنَ بخسفٍ ولا نُسبنَ لنُقصان

من كلِّ فَتاةٍ خَطَت بِقَدِّ قَناةٍ
كالغُصنِ إذا ما غدا يَميسُ بِبُستان

ترنو بجفونٍ لها سهامُ منونٍ
ما بِيضُ سيوفٍ وما أسِنّةُ مُرّان

بيد أنّي كنت في البلد المذكور قليلَ البضاعة كثيرَ الإضاعة، المُدّةُ المعلومةُ لمن أراد أن يتم الرضاعة، وما كان ذلك كذلك إلّا لقلّة الطَّلَبَةِ في تلك الجهات، لا لقصور همّةٍ وعدمِ التفات.

ثمّ إنّي تيقّظتُ من سِنة الغفلة، وتأسّفتُ على فواتِ الفُرصةِ في المهلة، وتطلعت إلى معرفة ما يتعلق بهذه الأجرام الجسمانية، والتراكيب الهيولانية، من الرياضات النفسانية، والعلوم الدينية والدنيوية، ورأيت في هذا المقامِ كلاماً لبعضِ العلماءِ الأعلامِ:

---

٤٤. هذا من البحور المستحدثة، ومنها ما يسمى بـ: (الكان وكان). (السيد الحسني)

لا يَنال هذا العلم إلا من عطَّل دكّانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله إليه ولم يشهد جنازته[45].

فتلقيته بالقَبول، ووجدت منه نشأةً لم أجد مثلها بالقَبول.

فاستخرتُ الله تعالى على بعض الأسفار، وخرجت بعد أن بدا من ابن ذُكا إسفار[46].

فراق ومن فارقت غير مذمّم
وأمّ ومن يمّمت خير ميمّم[47]

فأجمع قومي على لَومي، فأقسمت أن لا بدّ من ذلك يومي، فلمّا صرت من السير على بتات، سمَحَت القريحةُ القريحة ببعض الأبيات:

ألا فليقل من شاء ما شاء إنّني
إلى قولِ مَن قد قال لا أتلفّتُ

سأسري ولو أنّ المنايا مطيّتي
وأغدو ولو أنّ الحشا تتفتّتُ[48]

لِقصدِ المعالي لا سواها وحبّذا
لَو أنّ العوالي دونها والتّشتّتُ

فكم قائلٍ: لا يُبعِد اللهُ دارهُ

وآخر فرحانٌ يُسَرُّ ويَشمتُ

فلمّا رأوني لا أنتفع بِملامِهم، ولا أستمع لِكلامِهم، بادروا إلى اعتناقي، وقد عزّ عليهم فِراقي. شعر:

عِلّلونا عند السُرى بالعناقِ
وامزجوا بالوداع كأسَ الفِراقِ

وصِلونا يومَ الرّحيلِ فما نَط
مَعُ أنّا نحيا يومَ التّلاقي

كلّما تمّ من جَوىً فبِقلبي
أو جرى من بكاءٍ على أحداقي[49]

ثم لمّا انفصلتُ عن موقِفِ الوَداع، وقد بَلّتِ الدّموعُ لتلك البِقاع.

شعرٌ:

لله بَعدَ البُعدِ حُمرُ مَدامعٍ
بِنُضارِها المبذولِ قد أثرى الثّرى[50]

اتّفق أنّي نَكبتُ عنِ الجادّةِ إلى جِنح سبيل، لِما أصابَني من دَهَشِ الفِراقِ وألمِ الأليل[51]. فانتهى بي إلى مرج قد نجم طلعُه، وفاح نَورُ زهره، وفغم[52] ورده لمّا جال عليه الطلُّ بنشره، وإذ أنا بِرَبْرَبٍ[53] يرتعن من ذلك المكان في

٤٥. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، ص ٢٢٧.

٤٦. ذكاء بالضم: اسمُ الشمس، معرفة لا تَنصرِف ولا تدخُلها الألِفُ واللام، تقول: هذه ذُكاءُ طالعةً، وهي مُشتَقّة من ذَكَت النارُ تَذكو، ويقال للصُّبح ابنُ ذُكاء لأنه من ضَوئها. لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٨٧.

٤٧. البيت للمتنبي، راجع: ديوان المتنبي، ص ٣٦٤.

٤٨. نظر فيه إلى بعض أبيات المعري في قصيدته اللامية المشهورة. من (الطويل). (السيد الحسني)

٤٩. الأبيات لابن نباتة المصري، راجع: ديوان ابن نباتة، ص ٣٤٥. الطبعة الأولى، مصر.

٥٠. ورد البيت في كتاب نسيم السحر ولكن لم يذكر قائله. راجع نسيم السحر، ص ٦٣.

٥١. الأليل: الأنين. الصحاح، ج ٤، ص ١٦٢٦.

٥٢. فغم الورد وتفغّم: أي تفتح. الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٠٣.

٥٣. الربرب: القطيع من الظباء. راجع: جمهرة اللغة، ج ١، ص ١٧٤.

الطأطاء[٥٤] والربيع، ويتمتّعن بنوّار الأزهار في إبان الربيع.

مها الوحش، إلّا أنّ هاتا أوانِسُ
قَنا الخطّ، إلا أنّ تلك ذوابِلُ

فقالت إحداهنّ لصُويحباتِها وهنّ يمرحن: عن هذا المكان لا تبرحن لأنظر هذا القادم، فلعلّه أن يكون لنا منادم، فليس لأحدٍ غيرنا بهذا الموضع ألفةً البتة. (لأمرٍ ما جدع قصير أنفه)[٥٥].

فأقبلت عليّ غادةٌ رؤود[٥٦]، طفلةٌ أملود[٥٧]، كاعب رداح[٥٨]، ترتاح لها الأرواح، عديمة المثال، نشأت في حجر الدّلال، يسرح الطرف في رَوض جمالها ويتنزّه، وتمحو بكثير محاسنها البديعة ذكرعزّة، في حُليّها وحُللها تميد وتميل، وبالجملة فهي بثينة الحسن لأنّ وجهها جميل.

بنت سبع وأربع وثلاث
هي حتف المتيّم المشتاقِ

قلت من أنت يا غزال فقالت:
أنا من لطف صنعة الخلّاقِ

لا ترُم وصلنا فهذا بنان
قد خضبناه من دم العشّاقِ[٥٩]

فقلتُ لها: يا أخت الغزال والغزال[٦٠]، وثالثة الشمس والهلال، مالي أراكِ مذعورةً مرعوبة، أيّتها الخرعوبة[٦١] الرعبوبة[٦٢]؟

فلمّا عرفتني رحّبت بي وقالت: من أين وإلى أين؟ وعساك تقيم عندنا اليوم لتقرّبك العين، فأخبرتُها أنّي أضللت السبيل، وأنّي عازمٌ على سفرٍ طويل.

فقالت: أيها الشّارخ[٦٣] ما الذي أخرجك عن أهلك أيّام شرخ شبابك؟ أما خفت من سيف النّوى أن يعلق منه الشّبا[٦٤] بك، وكأنّك لم تسمع قول الأعشى:

شعرٌ:

ومَنْ يغترِب عن أهلهِ لم يزل يرى
مَصارعَ مظلومٍ مَجَراً ومَسحَبا

وتُدفنُ منه الصّالحاتُ وإن يُسِئ
يكن ما أساء النّار في رأسِ كبكبا[٦٥]

أجبني ولا تقل هجراً وقل صواباً، فدُهِشتُ لصباحتِها وفصاحتِها فلم أُحِرْ جواباً.

---

٥٤. الطاطاء منخفض من الأرض، جمهرة اللغة، ج١، ص ٢٢٧.
٥٥. مثل معروف، قالته الزبّاء لما رأت قصير مجدوعاً، راجع: الأمثال، ص ٢٧٦.
٥٦. الرأدة والرّؤود من النساء، الشابّة الحسنة. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٤٧١.
٥٧. غصن أملود، أي ناعم. الصحاح، ج ٢، ص ٥٤٠.
٥٨. الرداح، المرأة الثقيلة الأوراك. الصحاح، ج ١، ص ٣٦٥.
٥٩. الأبيات لابن الرومي، راجع ديوان ابن الرومي، ج ٢، ص ٥٠٦.

٦٠. لا يبعد أن يكون الأصل: يا أخت الغزالة والغزال، والغزالة بالألف واللام من أسماء الشمس، وقد منَعَ المحقّقون من أهل اللغة إطلاق (الغزالة) على (الظبية)، وقالوا: هي خاصّة بالشمس، وأما استعمال (الغزال) في (الظبي) فهو صحيح. هكذا ذكروا. (الحسني)
٦١. جارية خرعوبة وخرعبة: أي دقيقة العظام ناعمة، راجع: الصحاح، ج ١، ص ١١٩.
٦٢. والرعبوبة من النساء: الشطبة البيضاء، الصحاح، ص ١٣٧.
٦٣. الشارخ: الشاب، الصحاح، ص ٤٢٤.
٦٤. شباة شيء حدّ طرفه، الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٨٨.
٦٥. نهاية الإرب، ج ٣، ص ٦٨.

سال سوم، شماره دوم، پاییز و زمستان ۱۳۹۱

فقالت: مالي أراك كالأفكل[66] بعد غزارة عقلِك، وكيف تخرج في هذا الوقت قبل أداءِ فرضِك ونفلِك، فلقد بلغنا عنك أنّك قلتَ في مجالسِ وعظِك بعد أدائِك الفرض: إنّ الجلوس في تعقيبِ الغداةِ أبلغُ في طلبِ الرزقِ من الضربِ في الأرض.

شعرٌ:

لا تَنهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلَه
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[67]

بالله عليك أيها الأروَع الأورَع، لا تُذهِب في التغريب رَيعان شبابِك، والزم ربوعَك، ومِل بنا راجعاً أيّها الرَّعرَع[68]، فإن كان في رُوعك روعٌ أفرخت رَوعك، فإنّما ترجع إلى ظلٍ وارف، ولك عندي التالدُ والطّارف.

شعرٌ:

بذلتُ روحي لكم لا أنّها ثمنٌ
للوصلِ منكم، ولكن حسب مجهودي[69]

ويهاً أيها الشَّفن[70]، ارجع إلى منازلك التي كنت فيها تقري الضيف، ولا تغترَّ بقولهم: أوقاتُ الفِراقِ سحابةُ صَيف، فإنها إذا كانت مثل جلسة الخطيب، تُقطّع أمعاء قلب المحبّ لبعدِ الحبيب، فهلّا عدلت عن عِرنين[71] السفرِ إلى عَرانين[72] قومِك، ولا تترك دارك عارنةً[73] بعد يومك، فكأنّي بك سمعتَ قول الشاعر:

أُحبُّ ليالي الهجرَ لا فرحاً بها
عسى الدّهرُ يأتي بَعدَها بِوِصالِ
وأكرهُ أيامَ الوِصالِ لأنّني
أرى كلّ شيءٍ مولعاً بزَوالِ[74]

فقلت لها: لم أسمع هذا، ولكن سمعت قول الآخر:

العلمُ مغرسُ كلّ فخرٍ فاجتهد
أن لا يفوتَك فخرُ ذاك المغرسِ
واعلم بأنّ العلمَ ليس ينالُه
مَن همُّه في مطعمٍ أو ملبسِ
إلّا أخا العزمِ الذي يُعنى به
في حالتَيه: عارياً أو مكتسي
فاجهد لتُدرِك منه حظّاً وافراً
واهجر له طيبَ المنامِ واجلسِ
حتّى تكونَ إذا حَضَرتَ بمجلسٍ
كنتَ العزيزَ وكنت صدرَ المجلسِ
فترى الخليَّ من العلومِ مكانةً
بين البغال له صموت الأخرسِ[75]

٦٦. الأفكل على أفعل: الرعدة، إذا ارتعد من برد أو خوف. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٩٢.

٦٧. البيت لأبي الأسود الدؤلي، راجع: ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص ٤٠٤.

٦٨. شاب رعرع ورعراع، أي حسن الاعتدال في القوام، والجمع الرعارع. الصّحاح، ج ٣، ص ١٢٢٠.

٦٩. البيت لصفي الدين الحلّي، راجع: ديوان صفي الدين الحلي، ص ٤١٣.

٧٠. بالتحريك الكيّس العاقل. «من المؤلف».

٧١. عرنين كلّ شيء: أوله. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢١٦٣.

٧٢. عرانين القوم: سادتهم. الصحاح، ج ٦، ص ٢١٦٣.

٧٣. العران بعد الدار. يقال: دار عارنة أي بعيد. الصحاح، ج ٦، ص ٢١٦٣.

٧٤. البيتان منسوبان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. راجع: ديوان الإمام علي عليه السلام، ص ٣٤٦، ط قم.

٧٥. الأبيات للشافعي. راجع: ديوان الشافعي، ص ٦١.

«وما اشتارَ العسل من اختارَ الكسل»[٧٦].

ذريني أنَل ما لا ينالُ من العُلا
فصعبُ العُلا في الصّعبِ والسّهلُ في السّهلِ

تريدينَ لُقيان المعالي رخيصةً
ولابدّ دونَ الشّهد من إبَرِ النّحلِ[٧٧]

ويحك أيّتها الخريدة[٧٨] التي هي في الحسن والأدب فريدة، كُفي كفّ اللّوم والتّأنيب، وارجعي إلى اللهِ من قريب، فلقد أدنيتِ غمام الغمّ، ومدَحتِ ما يستحقّ الذّم، وأثرتِ نيران التّلف، وَوَتَرتِ ﴿عَفَا اللهُ عمّا سَلَفَ﴾.

شعرٌ:

لا تعذُليه فإنّ العذلَ يولعُه
قد قلتِ حقّاً ولكن ليسَ يَسمعُهُ

جاوزتِ في لومِهِ حدّاً أضرّ به
من حيث قدّرتِ أن اللّوم ينفعُهُ

فاستعملي الرفقَ في تأنيبه بدلاً
من عذله فهو مُضنَى القلبِ موجَعُهُ

يكفيه من لوعةِ التّفنيد أنّ له
من النّوى كلّ يومٍ ما يُروّعُهُ

كأنّما هو في حلٍّ ومرتَحَلٍ
موكّلٌ بفضاءِ الأرضِ يذرَعُهُ[٧٩]

وما ضرّني عن الأهل صفحاً وطيّي دونهم كشحاً، لإعراضٍ عن الأوطان، وتناسٍ للأهل والخلاّن، بل لأكون خادماً للعلماء الممدوحين في الأرض والسماء، المفضّل مدادهم على دماء الشهداء، الذين تضع الملائكة أجنحتها لأحدهم إذا مشى، وتستغفر له الطير في الهواء، والحيتان في الماء، لعلّي أقتبس من نور علومهم ما يرفعني إلى سُكاك[٨٠] المعرفة من حضيض الجهل، ويكشف لي عن ظلام المشكلات بحيث يصير حَزنُها عندي هو السّهل، فقد قال زين العابدين عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه بسفك المهج وخوض اللّجج»[٨١].

أيّتها اليموؤدة[٨٢] المائدة، إلامَ تربُديني[٨٣] عن المسير والشمس راكدة، فلقد أودت بي منك كُلام[٨٤] الكلام مع ما أصابني من حرّ الأُوام[٨٥].

فلمّا سمعَت ذلك ضحكت، فقلتُ: دعينا من المشمعة[٨٦] أيّتها الشَّموع[٨٧]، وارجعي عمّا أنت فيه، وأمّا أنا فلا سبيل لي إلى الرجوع.

---

٧٦. هذا القول للحريري. راجع: المقامات الأدبية، ص ٥٤٢.
٧٧. البيتان للمتنبي. راجع: ديوان المتنبي، ص ٤٠٩.
٧٨. الخريدة من النساء الحييّة. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٤٦٨.
٧٩. الأبيات لابن زريق الكاتب البغدادي. راجع: الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ٧٧.

٨٠. السُكاك والسُكاكة: الهواء الذي يلاقي أعنان السماء. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٥٩١.
٨١. الكافي، ج ١، ص ٣٥، ح ٥، باب ثواب العالم والمتعلم.
٨٢. غصن يموؤد أي ناعم. ورجل يموؤد وامرأة يموؤدة: شابة ناعمة. الصحاح، ج ٢، ص ٥٣٦.
٨٣. قال ابن الأعرابي: ربده حبسه. الصحاح، ج ٢، ص ٤٧١.
٨٤. الكلم الجراحة، والجمع كلوم وكلام. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٢٣. ومراده: كلامك الجارح.
٨٥. الأوام بالضمّ: حرّ العطش. الصحاح، ج ٥، ص ١٨٦٨.
٨٦. المشمعة: الضحك. قاله في الصحاح «من المصنّف».
٨٧. الشَموع من النساء اللعوب الضحوك «من المصنّف».

زندگی‌نامه‌ها خودنوشت
سال سوم پاییز و زمستان ۱۳۹۱ شماره دوم

شعرٌ:

أقولُ لجارتي والليلُ جاري
ولي عزمُ الرحيلِ من الديارِ:

ذريني أن أسيرَ ولا تنوحي
فإنّ الشهب أشرفُها السّواري[88]

ولعمري لئن أقمتُ بقية عُمري في هذا المكان، لأكوننّ أخسرَ صفقةً من أبي غَيشان[89]، وكيف لا وقد أصبح فيه مادرُ كحاتمٍ عند الناس، وباقلُ كقُسّ في القياس، وتحلّى بالفضيلة من ليس لها أهلاً، وقد ضرب الجهل بينه وبينها جبلاً وسهلاً، أما سمعتِ قول أبي العلاء المعرّي:

إذا وصفَ الطائيَّ بالبخل مادرٌ
وعيَّر قساً بالفهاهةِ باقلُ

وقال السّهى للشّمس أنتِ خفيةٌ
وقال الدُجى للصبح لونكِ حاملُ

وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً
وفاخرتِ الشُّهبُ الحصا والجنادلُ

فيا موتُ زُر إن الحياة ذميمةٌ
ويا نفسُ جِدّي إنّ دهركِ هازلُ[90]

فتنفسَتِ الصُّعداء ونظرت إليّ ملياً فقالت: لقد جئتَ شيئاً فريّاً، أين أنت عن قوله عليه الصلاة والسلام: «صلة الرحم تطوّل العمر وتوسع الرزق»[91].

سبحان الله، أيحبّ أحدكم أن يكون كلاً على النّاس، ومع هذا فلا يرى في ذلك من بأس، والهفاه عليك، أتبذل ماءَ وجهك بعد الصون؟ ولا تشعر أن بين الحالين بَون؟ فَقِوامُ الغُربة على ذلك، فاقبل نُصحي ولا توقع نفسَك في هذه المهالِك، فلقد نصحتك أبتغي بذلك الأجر، واهٍ ثمّ آهٍ، لو كان يطاع لقصير أمر.[92]

شعرٌ:

مَحضتُكَ النُّصحَ لكن ما ائتمرتَ به
وما استقمتُ، فما قولي لكَ: استلِمِ[93]

فعدم تجريبِكَ الأُمورَ على هذا يدُلّك، ولعمري ليس إلّا في ذلك ذُلُّك، أرق على ظلعك، واعرف عن الغربة قصور ذرعك، سيما مع حظّك الواشل[94]، ولفظك الذي هو عن

---

٨٨. الأبيات ليحيى بن حبش المعروف السهروردي المقتول. مع اختلاف في بعض كلمات البيت الأول. راجع: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٦١٥.

٨٩. هو رجل من خزاعة، كان يلي سدانة البيت، فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب، فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة البيت بزقٍ من خمر، وأخذ منه مفاتيحه وطار بها إلى مكة، وقال: معاشر قريش هذه مفاتيح أبيكم إبراهيم ردّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم، وأفاق أبو غيشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبي غيشان، وقال شاعرهم:

باعتْ خزاعةُ بيتَ الله إذ سكرتْ　　بزقّ خمرٍ فبئستْ صنعة البادي

باعت سدانتها بالخمر وانقرضتْ　　عن المقام وظلّ البيت والنادي

راجع: ثمرات الأوراق، لابن حجّة الحموي: ق ٤٢ (مخطوط)، مكتبة لايبزيغ، ألمانيا.

٩٠. الأبيات للمعرّي. راجع: سقط الزند، ص ١٩٤-١٩٥.

٩١. ورد ما في معناه وهو قوله: «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر». راجع: قرب الإسناد، ص ٧٦.

٩٢. لا يطاع لقصير أمر. قاله قصير بن سعد لمّا لم يقبل جذيمة رأيه. راجع: الأمثال، ص ٢٨١.

٩٣. قائله غير معروف.

٩٤. فلان واشل الحظ أي ناقصه. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٨٣٢.

حلية القبول عاطل.

فكم للّيالي من خطوبٍ تركنَني
أروحُ ولي حظّ شبيهُ دُجاها[95]

وإذا صرت نازحاً لا تستطيع رجوعاً، ولا يمكنك الطّلب ولو مُتّ جوعاً، أيّها المُجرهَد[96] خفّض عليك، فلست خالياً من العلوم بل فيها في هذه الجهة يرجع إليك، أرك في ربوعك واجعلها ربيعاً للضيفان، واسلك طريق الأسخياء الممدوحين بكلّ لسان، ألم تسمع ما نقله صاحب عدّة الداعي ونجاح الساعي، وحاصله:

إذا كان يوم القيامة يقف أربعة أشخاص على باب الجنة، كلّ منهم يريد الدّخول أولاً، وهم: زاهد، وعابد، وعالم، وسخي. فيقال: للزاهد بماذا تستحقّ الدخول أولاً؟ فيقول: بزهدي عمّا رَغِبَت فيه الناس، ورغبتي فيما عند الله. فيقال له: من دلّك على أن ذلك يدخلك الجنّة؟ فيقول: العالم. فيقال: إذاً هو أبدى منك بالدخول أولاً.

ويقال للعابد: بماذا تستحقّ الدخول أوّلاً؟ فيقول: لأنّي ما كنت أغفل عن عبادة ربي طرفة عين. فيقال له: من قال لك أن ذلك يدخلك الجنّة؟ فيقول: العالم. فيقال له: هو أولى منك بالدخول أولاً.

ويقال للعالم: بماذا تستحقّ الدخول أولاً؟ فيقول: لأنّي كنت أهدي الجاهل بعلمي. فيقال له: بماذا اكتسبت العلم؟ فيقول: ببذل الأسخياء. فيقال له: فالسخيّ أحقّ منكم بالدّخول أولاً[97].

عليك بما لضنضنك[98] من العراق، فليس لك على مرّ الفِراق بعد حلو التّلاق طاقة.

لمّا نظر الجسمَ نحيفاً نهِكا
من فرقتِه رقّ لضَعفي وبكى
وارتاح وقال لي: أما قلتُ لكا
ما يمكنُكَ الفراقَ ما يمكنُكا[99]

أما علمت أنّ بنتَ حاتم الطائي لمّا أسرها المسلمون من جملة أُسراء المشركين، قال رسول الله ﷺ: «أكرموها، فإنّ الله تعالى يحبّ خُلُقاً كان في أبيها»[100]، وعنى به السخاء. ولذلك كان لحاتم مقام بين الجنّة والنار، فإن قلت: إنّ سجيّة الجود من الجدود، ولا دخل فيها للعدّ والوجود. يقال لك: واغوثاه، أنت في الغربة لا تملك الثّفاء[101] فكيف تقدر على السّخاء.

شعرٌ:

وقد يقصر القلّ الفتى دون همّةٍ
وقد كان لولا القلّ طلّاع أنجدِ[102]

---

٩٥. قائله غير معروف.

٩٦. المجرهد: المسرع في الذّهاب. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٤٥٦.

مجرهد: من أجداد مسدد المحدث المعروف، وسياق نسبه على ما أحفظه من قاموس الفيروزابادي: مسدد بن مسرهد بن مجرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن مطربل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد الأسدي، وهو من بني أسد بن شُريك بن مالك بن فهم من الأزد القحطانية، لا من بني أسد بن خزيمة العدنانية. (السيد الحسني)

٩٧. لم أعثر على هذا الحديث في المصدر المذكور ولا في غيره.

٩٨. الضّنضِئ الأصل. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٦٠.

٩٩. البيتان للشيخ البهائي. راجع: سلافة العصر، ص ٣٠١.

١٠٠. تاريخ دمشق، ج ٦٩، ص ٢٠٢.

١٠١. الثّفاء الخردل. راجع: الصحاح، ج ١، ص ٣٩.

١٠٢. البيت لعلقمة الفحل. راجع: ديوان علقمة بن عبدة الفحل، ص ٣٤. دار صادر.

أليس حبّ الوطن من الإيمان؟ سيّما بمعاشرة الأهالي والإخوان، أما وقفت على ما نقله المسعودي عن بعض الحكماء أنّه قال:

إنّ من علامة وفاء المرء، ودوام عهده حنينُهُ إلى إخوانه، وشوقُهُ إلى أوطانه، وبكاؤهُ على ما مضى من زمانه، وإنّ من علامة الرّشد أن تكون النّفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توّاقة.

وقال آخر: «أولى البلدان بصيانتك بلد رضعت ماءه، وطعمت غذاءه».

وقال آخر: «ميلك إلى موضع مولدك من كرم محتدك»[١٠٣].

وقال أبقراط: «يُداوى كل عليل بعقاقير أرضه، فإنّ الطبيعة تتطلّع لهوائها وتنزع إلى غذائها».

وقال أفلاطون: «غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها».

وقال جالينوس: «يتروح العليل بنسيم أرضه، كما تثوب الحبّة ببلل القطر».

أما سمعت أنّ للشّعراء في الحنين إلى الأوطان والشّكاية من الزمان والوقوف على الديار والبكاء إلى الآثار، ما يذيبُ القلوب والمهج، ويوقع النفوس من بحار الأفكار في اللُّجج؟ فمن ذلك قول شيخ مشايخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام، ملاذ الشيعة، وموضح أحكام الشريعة، أفضل المتقدّمين والمتأخّرين، شيخنا ومولانا الشيخ بهاء الدين، نوّر الله وجوده ببهائِه، وأقرّ عيون أهل اليقين من المؤمنين بطول بقائِه.

١٠٣. المحتد: الأصل. «من المؤلّف».

شعرٌ:

سَرَى البرقُ من نجدٍ فجدّدَ تَذكاري
عهوداً بحزوى والعذيبِ وذي قارِ

وهيّج من أشواقنا كلّ كامنٍ
وأجّج في أحشائنا لهب النارِ

ألا يا لُييلاتِ الغويرِ وحاجرٍ
سُقيت بهامٍ من بني المزنِ مدرارِ

ويا جيرةً بالمأزمينِ خيامُهُم
عليكم سلامُ الله من نازح الدارِ[١٠٤]

ومن ذلك قول الشاعرِ الإربلي:[١٠٥]

أيّامنا بالحمى حيّيتِي أياما
وزادكِ اللهُ إجلالاً وإعظاما

قد كنتِ بالأمسِ أحلاماً بأنفسنا
فما أصابكِ حتّى صرتِ أحلاما

هل يسمح الدهر يوماً أن يُعيدَ لنا
لياليّاً قد ألِفناها وأيّاما

كانت لنا من عطيّات الشّباب فما
دامت علينا ولا المعطي لها داما[١٠٦]

ومن ذلك قول الأمير حسام الدين الحاجري:

١٠٤. راجع الكشكول، ج١، ص ٢٣٣.
١٠٥. منسوب إلى إربل المعروفة اليوم بـ(أربيل) من محافظات شمال العراق، وأهلها من الأكراد وممّا صُنّف في تاريخها. كتاب: تاريخ إربل لابن المستوفي اللخمي، وقد طُبع في مُجلّدين. والإربلي هو أبو الفتح علي بن عيسى الإربلي ثم البغدادي، صاحب (كشف الغمة). (السيد الحسني)
١٠٦. رسالة الطيف، مخطوط، الورقة ١١.

يا ملعب الحيّ حيّاك الحيا وغدت
مجرورة للنعامي فيك أذيال

هل عائد والأماني غير صادقةٍ
أسحار وصلٍ قضيناها وآصال

لو ساومتني اللّيالي ردّ فائتِها
بالرّوحِ والمالِ هان الرّوحُ والمالُ[107]

ومن ذلك قوله أيضاً:

إن كنت تضمر لي في الحبّ إشفاقا
فاطلق معي الدّمع إثر الظّعن إطلاقا

بيني وبين حِمى الأحباب عهد هوىً
أن لا أزال إليه الدّهر مشتاقا

وا وحشتا لديارٍ دون كاظمةٍ
كلّ الفضاء لعيني بعدها ضاقا

فهل تعود معاني الشّعب تجمعنا
يوماً ويشرح كلٌّ بعضَ ما لاقا[108]

ومن ذلك قوله أيضاً:

يا سائق الوجناء غير مقصّرٍ
يطوي المفاوز من رُبىً ووهاد

مالي إليك سوى التحيّة حاجةٌ
تلقى سعاد بها ودار سعاد

كلُّ الأماكنِ والبلادِ عزيزة
عندي ولا كمَواطني وبلادي[109]

١٠٧. راجع: ديوان الحاجري، مخطوط، الورقة: ٢٧.
١٠٨. ديوان الحاجري، الورقة: ٢١.
١٠٩. ديوان الحاجري، الورقة ٢٧. مخطوط آخر.

ومن ذلك قول ابن زريق البغدادي:

باللهِ يا منزلَ القصر الّذي درست
آياتُه وعَفَت مُذ بنت أربُعُهُ

هل الزّمانُ معيدٌ فيك لذّتنا
أم اللّيالي الذي أمضته ترجِعُهُ[110]

ومن ذلك قول أبي دُلَف[111] العِجلي:

أيا نكبةَ الدّهرِ الّذي طوحت
أيادي سبا في شرقِها والمغارِبِ

قفي بالذي نهوى فقد طرتِ بالتي
إليها تنامت فاجعاتُ المصائبِ[112]

ومن ذلك قول الشاعر:

يا دهرُ كم لكَ مثلها من غدرةٍ
ولأنت أجدر أن تخون وتغدرا

جارَ الأحبّة في قضايا حبّهم
فغدوت أظلم في القضاء وأجورا

أحبابنا النائين هل من عودةٍ
يصفو بها من عيشنا ما كُدّرا

قد طال في طولِ البُعاد تعلُّلي
بعسى وليت وهل يكون وهل ترى[113]

١١٠. راجع: المحاضرات والمحاورات، ص ٢٩١.
١١١. ممنوع من الصرف. (فُعَل) معدول من فاعل. وهو القائد الشيعي الجواد المعروف. (السيد الحسني)
١١٢. راجع: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٠٦.
١١٣. وردت هذه الأبيات في رسالة الطيف للأربلي ولم يذكر قائلها. رسالة الطيف ق ١١. مخطوط.

ومن ذلك قول امرئ القيس:

قِفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومَنزِلِ
بِسِقطِ اللّوى بين الدَّخول فحوملِ[114]

فإنّ في هذه الأبيات من الرّقة والحنين ما ليس بالخفيّ، ولعمري ما غرّكِ في الغربة وكدّر علينا لذلك إلاّ قول الصفي[115]:

تنقّل فلذّات الهوى في التّنقّلِ
ورد كلّ صافٍ لا تقف عند منهلِ

ولا تستمع قول امرئ القيس إنّه
مضلٌّ ومن ذا يقتدي بمضلّلِ

ففي الأرض أحبابٌ وفيها منازلٌ
فلا تبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[116]

فقلت: يا هذه البهنانة[117] الجمانة، وربّة الألحاظ الصحاح المراض الكسلانة، لقد قطعتِ مني بعذلك الوتين، وذبحتِ ولكن بغير سكّين، وأتيتِ من العذل بما يذهب البصر ويصمّ السّمع، ويذيب القلوب على ناره ذوب الشّمع، أعنِدي عن عنادي بالتّفنيد، فيما لا يجدي ولا يفيد، فمالي بعد القصور الشّامخة الذّرى، من حاجة في سكنى وكُورِ القُرى، ألم تسمعي قول الشاعر:

أرضُ الفلاحةِ لو أتاها جرول

---

١١٤. راجع: ديوان امرئ القيس: ص ١١٠.

١١٥. هو صفي الدين الحلي (م ٧٥٠ هـ أو ٧٥٢ هـ) الشاعر الإمامي المعروف. (السيد الحسني)

١١٦. راجع: كتاب المستطرف من كل فن مستظرف: ص ٢٨٨.

١١٧. البهنانة: المرأة الطيبة النفس والأرج. راجع: الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٨٢.

أعني: الحُطيئةَ لاغتدى حرّاثا

تصدا بها الأذهانُ بعد صَقالها
وتَرُدّ ذكرانَ العُقولِ إناثا[118]

أوما علمتِ ما قالت قدماء العرب: إنّ الأرض تمرض كما تمرض الأجسام، وتلحقها الآفات، فالواجب أن يتخيّر المواضع بحسب أحوالها من الصّلاح، إذ الهوى ربّما قوي بأرض فأضرّ بأجسام سكّانها، وأحال مزاج قُطّانها، وقال ذوو الآراء منهم: إنّ الأبنية والتّحويط حصن عن التّصرف، ومقطعةٌ عن الجَوَلان، وتقييد للهمم، وحبس لما في الغرائز عن المسابقة إلى الشّرف، ولا خير في هذه الحال.

وزعموا أيضاً أنّ الأطلال والأبنية تحصر الغذاء وتمنع انفساح الهواء، ولهذا كانت العرب أقوى النّاس هِمماً، وأشدّهم أحلاماً، وأصحّهم أجساماً، وأعزّهم جاراً، وأحماهم ذماراً، وأفضلهم جواراً، وأجودهم فطناً لما أكسبهم إيّاه صفاءُ الجو ونقاءُ الفضاء، لأنّ المدر تحتوي أجزاؤها على متكاثف الأكدار، لمّا يرتفع إليه ويتلاطم في عرصاته وأُفقه من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه، ففي أكنافه جميع ما يصعد إليه، ولذلك تراكبت الأقذاء والأدواء والعاهات في أهل المدن وتركّبت في أجسامهم، وتضاعفت في أشعارهم وأبشارهم.

وذكر المسعودي في مروج الذهب أنّه وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها البر واجتنابها المدن، فقال:

---

١١٨. الأبيات لأبي تمام. راجع: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٣٦.

أيها الملك ملكوا الأرض ولم تملكهم، وأنفوا من التحصن بالأسوار، واعتمدوا على المرهفات الباترة، والرماح الشارعة، جنناً وحصوناً، فمن ملك قطعة من الأرض ليس كمن ملكها كلّها، يردون منها خيارها ويقصدون ألطفها"[١١٩].

وذكر في الكتاب المذكور:

إنّ العراق سيّد الآفاق، به اتّصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال، فَصَفَت أمزجة أهله، ولَطُفت أذهانهم، واحتدمت خواطرهم، وقويت عقولهم، وثبتت بصائرهم ،وقلب الأرض العراق، وهو المجار المتجلي على قدم الزمان، وهو مفتاح الشرق، ومسلك النور، ومسرح العيش، ولأهله أعدل الألوان وأنقى القرائح وأفضل الأمزاج، وأبهى الأرتاج، وفضائله كثيرة لصفاء جوّه، وطيب منتسمه، واعتدال تربته، وإغداق المياه اليه، ورفاغة العيش به"[١٢٠].

ورأيت في كلام كعب الأحبار:

إنّه لمّا خلق الله الأشياء لحق كلّ شي لشيء، فقال العقل: إنّي لاحقٌ بالعراق، فقال: العلم وأنا معك. فقال المال: إنّي لاحقٌ بالشام، قال الفناء: وأنا معك. قال الشقاء: إنّي لاحقٌ بالبوادي، قالت: الصحّة وأنا معك. قال الخصب: إنّي لاحقٌ بمصر، قال الذّل: وأنا معك. قال الفقر: إنّي لاحقٌ بالحجاز، قال القنوع: وأنا معك"[١٢١].

وها أنا لمّا بلغني من حسن العراق قد نهضت إليه

---

١١٩. مروج الذهب، ج ٢، ص ٩٧.

١٢٠. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦.

١٢١. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٨. مع اختلاف يسير.

مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه:

فما تهيبني الموماه أركبها
إذا تجاوبت الأصداء بالسَّحَرِ

فقالت: مالي أراك تخبط في ظلمة الجهالة خبط عشوى، كمثل حامل الأسفار بل تأكُدُ الجهل فيك أقوى، حيث إنّك تتّبع شهوات نفسك، وتتمنّع من الإقامة بين أهلك وأبناء جنسك، فلعمري لقد نصحتك غير مرّة، ولم يثمر نصحي عندك مثقال ذرّة، والذي كان ينبغي ترك لومك، إذ لم تقبل قبلي من أهلك وقومك، فمن لم يكتفِ بمثالٍ واحدة [لا] يفيده التطويل، ولو تليت عليه التوراة والإنجيل، ومن لم يستضِئ بمصباح لا يستضيء بإصباح، والعجب كلّ العجب من قولك: وما تهيبني الموماه ... إلى آخره. قل ذلك عند من لم يطّلع على أحوالك، وأما أنا فإني أعلم يقيناً أنك تفزع من خيالك.

صدق الله العظيم إذ قال في الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[١٢٢]، ولم يك ذلك منهم كذلك إلاّ لأنّ الجنون فنون.

فقلت: ما لي أراكِ مزمئجة[١٢٣] يا ربّة الحواجب الزجّ[١٢٤]، وهلّا تركت ما أنت فيه يا ذات الأعين الدُّعج[١٢٥]، فلعمري لقد أساتِ الأدب، ولولا نقص عقول النساء لفتحت لك باب العتب، إليك عنّي برأيك المعثلب[١٢٦]، وذريني أنل

---

١٢٢. الشعراء: الآية ٢٢٥ – ٢٢٦.

١٢٣. المزمئج: الغضبان. راجع: الصحاح، ١، ص ٣١٩.

١٢٤. الزجج: دقة في الحاجبين وطول. الصحاح، ج ١، ص ٣١٩.

١٢٥. الدعج: شدّة سواد العين مع سعتها، يقال: عين دعجاء. الصحاح ١، ص ٣١٤.

١٢٦. نوى معثلب: أي مهدوم وأمر معثلب: إذا لم يحكم. الصحاح

ما أريد ما دام علي للشباب عبعب[١٢٧].

فلمّا رأتني عازماً على المسير حتماً، أخذت بتلابيب صدري لتردني رغماً، فأبعدت نفسي منها وسرت قاطعاً عنها النظر، فنادت: إن كان ولا بدّ لك من هذا الوجه، فقف حتّى أودّعك يا أقسى من الحجر، فطاش عند ذلك لبّي، وقطع الفراق نياط قلبي، وتلاقينا بالبكاء وعزمنا العزاء.

فتباكت فدمعها كسقيط الط
طَل في الجلّنارة الحمراءِ
خدّها يصبغُ الدّموعَ ودمعي
يصبغُ الخدّ قانياً بالدّماءِ
فترى الدّمعتين في صفحةِ ال
خدِّ سواءً وما هما بسواءِ
خضب الدّمعَ خدُّها باحمرارٍ
كاختضابِ الزجاج بالصّهباءِ

فلقد جرّعني دهري غير مرّة، من لوعة فراق الأحباب كؤوساً مرّة، يالها لوعة فراق أسعرت وقدَ الضلوع، ومالت إلى الصّبر فأذوت منه الأُصول والفروع، وأورثت الكمد وأذابت جليد الجلد.

شعرٌ:

ودّعته وبودّي أن تودّعني
روح الحياة وأنّي لا أودّعه

فإلى الله المشتكى من دهرٍ إن أحسن صباحاً أساء قبل العشية، وإن أساء أصرّ على الإساءة واتّخذها سجيّة، ولولا جزم العزم على العَود لابيَضّ منّي لبعد أحبابي القَود[١٢٨]، ولم يبرحوا نُصب عيني وقد حالت الفيا في بينهم وبيني، ثمّ لم تزل تلفظني أرضٌ إلى أرض، ويجرّني رفعٌ إلى خفض، حتّى انتهت بي المذاهب إلى مدين المآرب، أعني حضرةَ مولىً تضرب إليه أكباد الإبل في الإصباح والأصائل، وجليلاً سدته ملتثماً لشفاه الأفاضل.

سال سوم، شماره دوم، پاییز و زمستان ۱۳۹۱

شعرٌ:

وبماذا أُثني وكلّ ثناءٍ
هو منه أعلى وأعظم قدرا
حاز كلّ الفخارِ والمجدِ حتّى
لم يَدَعْ للأنامِ مجداً وفخرا

ترجمان الحكماء والمتكلّمين، شيخنا ومولانا محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين، لا برح نسبه تميمةً في أجياد الحسب، ولا انفكّ حسبه رُقيةً في لبّات المكارمِ والأدب، ولا زال مجلسه العالي محروساً من حوادث الأيّام وصروف اللّيالي، ما انتظمت في سلك المحبّة من نثر دموع العشاق الدُّرر، وما اتّضحت بروق الثّغور تحت دياجي الشّعور بضِياء الغُرر.

فلمّا وصلت إليه، وانتظمتُ في سلك المجتمعين لديه، وأحياني اكتحالي بطلعته بعد مماتي بطول غيبته، نعمت بقربه عيناً، وأنساني ما بيني وبينه من الوصلة البينا، ووسمت بنسيان الأحبّة والأوطان، وتبسّم في وجه رجائي الزمان، وصرت بعميم لطفه مغبوطاً محظوظاً، وبعين عنايته ملحوظاً محفوظاً، فأقمنا في بلهنية من

١. ص ١٧٧.

١٢٧. العبعب: نعمة الشباب. الصحاح، ج ١، ص ١٧٥.

١٢٨. قَوْدُ الرَّأس: جانباهُ. (الحسني)

العيش مدّة، فجرّد الدهر علينا حسامه وقدح زنده، وتواتر إلينا النبأ، بأنّ أهل بلادنا ذهبوا أيادي سبأ، إذ ركبت عليهم الروم، وبلغت منهم ما تروم، ونهبوا الطارف والتالد، وأحرقوا المصاحف في المساجد.

لادرّ درُّ كتائب للروم قد
جاءت على حَزنِ البلاد وَسهلِها

قومٌ إذا دخلوا معالِمَ قريةٍ
من بغيهم جعلوا أَعِزّة أهلها[١٢٩]

فلمّا سمعت ذلك تصاعدت منّي الزفرات، وتبادرت العبرات، وأضحت تجول في ميدان الخدود، وتحول بين إنسان العين وبين الوجود، فوالهفاه لكلّ رفيقٍ رفيق، وواغوثاه لكلّ شقيقٍ شقيق، وواشوقاه إلى منزلٍ سكنوه، ومنهلٍ أقاموا عنده واستوطنوه، وواحرقاه لبعدي عن تلك الديار، وواقلقاه على ما مضى لي في تلك الأوطان من الأوطار، فياليت شعري هل لي للقاهم من طريق، بعد أن احترق جسمي بنار الجوى وهو في بحر دموعي غريق، أو هل أراهم ولو في الكرى، ويجودُ دهرٌ ببعدهم علينا افترى.

فلعمري لقد عظمت عليّ المصيبة، وعدمت اصطباري وسهام النوى لي مصيبة، فعند الله نحتسب من نحن له فاجعون، وإنا لله وإنا اليه راجعون، والله المسؤول في جمع الشمل بعد الشتات، ووصل حبل الوصل بعد البتات، فإنّه نعم المولى ونعم النصير، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.



---

١٢٩. اقتباس ناقصٌ من قوله تعالى من سورة النَّمل: ﴿إِنَّ الملوكَ إذَا دَخلوا قريةً أفسدُوهَا وَجَعلوا أعِزَّةَ أهلِهَا أذلَّةً﴾.

وقوله: ﴿...وَجَعلُوا أعِزَّةَ أهلِهَا﴾ يسمّى في علمِ البلاغة «الاكتفاء»؛ لأنّ السامع يكتفي بما ذكر منه، ويعرف ما لم يذكر منه لشهرته وذيوعه. ومن أروعِ أمثلَةِ الِاكتفاء مَعَ الإقتِباس قَولُ بَعضِهِم:

وانفَعْ صَدِيقَكَ إن أَردتَ صَداقَةً وَادفَعْ عَدُوَّكَ بِـ(الَّتي) فَـ(إذَا الَّذي)

وَهُوَ مِنْ قَولِهِ تَعالَى في سُورة (فُصِّلَتْ): ﴿...ادفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَينَكَ وَبَينَهُ عَداوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. (الحسني)